بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله المخلصين لاسيما محمد وآله الطيبين الطاهرين

بمناسبة مبعث رسول الله (ص)[1]، أحاول أن أتحدث عن بعض الأمور التي أرى أنها تكون نافعة لنا إن شاء الله. هل نحن بحاجة إلى معرفة رسول الله (ص)؟

نحن نحب رسول الله (ص) ونعمل بشريعته إن شاء الله قدر الإمكان، نأتي بالواجبات التي بيّنها ونترك المحرمات، هل هذا يكفي أم أننا بحاجة إلى أن نعرف سنة رسول الله (ص) وطريقته؟ هذه مسألة أساسية

نحن نذكر رسول الله (ص) كثيرا ونذكره ذكرا واجبا في الصلاة، نحن نصلي عليه (اللهم صل على محمد وآل محمد)، هذا دعاء يعني ندعو الله تبارك وتعالى أن يفيض على رسوله رحمته، هل هذا الدعاء هو فعلا دعاء أحتاجه ليكون دعائي مثلما أقول (اللهم اغفر لي، اللهم ارض عني، اللهم احشرني في جنتك، اللهم قربني منك) هذه الأدعية هي أدعية حقيقية أي أن هناك شيئا أنا بحاجة إليه فأدعو الله، ولكن هل أن دعائي ينفع رسول الله (ص)؟ فالله تبارك وتعالى جعل رسوله في أعلى عليين سواءً أنا أدعو الله ليصلي عليه أم لا أدعو

في الحقيقة أن هذا الدعاء يفقد أحد ركنيه، لأن لكل دعاء يوجد ركنان أساسيان، الأول أن الإنسان يشعر بالحاجة والثاني أن تكون هذه الحاجة فعلا موجودة يعني لها واقع في الخارج، بهذه الصورة تكون هذه الحاجة حاجة حقيقية، لكن هنا لأن الله تبارك وتعالى قد أنزل على رسوله رحمته وفضّله على كل أحد وقرّبه منه كل القرب، إذن هذه الحاجة –أي الطلب من الله برفع درجة رسول الله وإنزال الرحمة عليه– هذه الحاجة واقعا ليست موجودة، لكن إذا كانت رغبتك بأن يكون اسم رسول الله (ص) ويكون دينه هو السائد في هذه العالم هنا تشعر بالحاجة للدعاء وتكون الحاجة حقيقية

لأني أنا أحب رسول الله (ص) وأحب أن ينزل عليه كل الخير وأحب الخير كله له، وأعلم بأن الله قد أفاض عليه كل الخير، وكأنني أقول لربي إلهي أشكرك بأنك أنت أفضت على الرسول الخير الذي أنا أرغب فيه، هذه الرغبة لا تتصنع إنما هي نتاج طبيعي للمبادئ التي يعيشها الإنسان في داخل نفسه، فهذه المعتقدات تثمر

---

[1] تحدث به السيد محمد علي الباقري حفظه الله يوم الجمعة بتاريخ ٢٨ رجب ١٤١٣هـ وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

كشجرة ثمرتها تكون رغبة معينة، ديني هو الذي ينتج هذه الرغبة، وحينما أكرر الصلاة على النبي فهذه الصلاة تنمّي تلك العقيدة وتسقي تلك الجذور، هي مثل الشجرة التي تتغذى عن طريق ثمارها وأوراقها وأغصانها

إذن، نراجع أنفسنا هل نحن واقعا نرغب في أن الله يشمل النبي (ص) بكل الخير أم فقط كلام نردده؟ لو كان مجرد كلام نردده معنى ذلك أن هذه الرغبة ليست موجودة وأنه يوجد خلل في الجذور، فإذن ماذا نفعل؟ لابد أن نراجع ديننا في جذوره لِمَ لمْ يثمر هذه الثمرة؟ لِم أنا لا أرغب بشكل طبيعي؟ وأيضا أراجع نفسي كذلك هل أحب النبي (ص) كشخص موجود في التاريخ وسوف ألتقي به في الآخرة؟ أم أني أحبه كرسول كنبي كأسوة كإمام كدين؟

فإذا أحبه كشخص يعني يوجد هنالك خلل في المعرفة، أما إذا أحبه كدين كطريق كصراط كوجه الله هنا بشكل طبيعي أشعر بالحاجة إلى أن أعرف صراطه، بنفس السبب الذي أنا أدعو الله لأن يصب عليه الخير والرحمة وأبحث عن رسالته كطريق وكدين

إذن فكل واحد منا يجب أن يراجع نفسه ويعالجها، لأنه لا توجد هنالك أي قوة في العالم تفعل لك ذلك لأن الله تبارك وتعالى ما أراد أن يجبر الناس على الاعتقاد ويجبرهم بالحب، (لا إكراه في الدين) فالإنسان بنفسه المفروض يبحث ويتحرك، بطبيعة الحال يستعين بأناس لينمّي عقيدته وينظّمها لتكون مثمرة بشكل طبيعي، هذه المسألة راجعة لكل واحد منا، المعرفة من الممكن طرحها أما الإيمان بهذه المعرفة وتبنّيها والبحث عنها لابد أن يحصل بدافع ذاتي من كل شخص، بهذه الصورة يثمر الرغبة إلى البحث عن دعوة رسول الله (ص) ومعرفته

فإذا وُجدت فيك هذه الحالة، حالة الاقتراب من رسول الله (ص) البحث عن طريقته وسبيله، هنا تعيشه في نفسك في بيتك في مدرستك في عملك، فهذه الحاجة لا تُفرض على الإنسان، الحاجة لا تُتصنع، هذه الحاجة هي كإحساس العطشان للماء، الإنسان المرتوي إذا يعطى له ماء ربما يشمئز، إذا يشرب الماء أكثر مما يحتاج ممكن يتقيأ، فالحاجة لا تُتكلف وإنما تكون بشكل طبيعي، فإذا وجدت نفسك راغبا أن تنمي هذه المسألة في نفسك وتبحث في حياة رسول الله (ص) لتعرفه هنالك تجد تشويها لطريقة رسول الله (ص) ونهجه

بعد وفاة رسول الله (ص) كان المفروض أن المسلمين لا يرجعوا قهقرى (إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى)[٢]، كان المفروض أن هذه الأمة تبقى على طريق رسول الله (ص) لأن الأئمة (ع) هم الذين يذكّرون

[٢] البخاري (٨/١٢٠)

الأمة برسول الله (ص) لا في أحاديثهم فقط بل في طريقة حياتهم كذلك، فتبقى دعوة رسول الله (ص) حية في النفوس، ولكن ذلك لم يحصل فبعُدت الشُّقة، وسوف يجسد ابنه المنتظر (عج) دعوته ولكن في هذه الفترة ماذا نفعل؟ هنا نحن مضطرون إلى أن نبحث ونتعقل، فليس هنالك طريق إلى الجنة غير طريق رسول الله (ص)، وتفاصيل هذا الطريق لابد أن نعرفها (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي)[٣]، (أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[٤]، كل واحد منا بحاجة إلى بصيرة، كل واحد منا بحاجة إلى أن يسلك الطريق بنفسه، يبصر دربه وهو واقف على قدميه

في القرآن الكريم توجد معالم دعوة رسول الله (ص) معالم رسالة رسول الله (ص) الأساسية لكن تحتاج منا إلى بحث وجهد، هنا أنا أستعين ببعض الومضات الموجودة في تاريخ حياة رسول الله (ص) أذكرها كمؤشرات ومنبهات، منها أن شخصا من أصحاب رسول الله (ص) اسمه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، من جهة النسب هو يعتبر من قمم قريش، أبوه سعيد يسمّى بأبي أحيحة، وكان يلقّب بذي التاج وبذي العمامة، فكان أبوه من جهة الجاه والعز الاجتماعي في القمة، ومن جهة الثراء كان أثرى قريش في حينه وقد ساهم في عير أبي سفيان بثلاثين ألف دينار، ينقل أن هذه العير كان قوامها خمسون ألف دينار، وابنه خالد أعز أولاده ومعزز من بني أمية، التقى برسول الله (ص) واستمع له فأسلم، لكن أبوه رفضه وطرده وأخذ منه كل شيء فعاش الجوع الشديد والفقر المدقع، هاجر إلى الحبشة ورجع ثم هاجر إلى المدينة، كان واليا من قِبَل رسول الله (ص) في حياته وله موقف بعد وفاة رسول الله (ص) وهو أنه حينما ألح عليه أبو بكر لكي يولّيه فقال أنا لا أتولى بعد رسول الله (ص) لأحد

نحن إذا نتعامل مع هذه الحادثة من بعيد فهي تصبح قضية قديمة لا تعني لنا شيئا، أما إذا أردنا أن نتلمسها نخضعها كذلك لمعالم رسالة رسول الله (ص) التي تُذكر في القرآن الكريم فنتساءل كيف حصل ذلك كيف تغيّر هذا الشخص؟ وأيضا غيره كثيرون، مصعب، عثمان بن مظعون، بلال، ياسر، عمار، سمية، أبو ذر وغيرهم كثيرون، ماذا حصل؟

حسب تصوري يوجد في ذهنك تحولات مستمرة، أشياء تتغير، شيء يكبر شيء يصغر، ثم هذا الشيء الصغير يكبر مرة أخرى وهكذا وهكذا، شيء يزول وشيء آخر يأتي مكانه فالذهن دائما في تحول، هذا موجود في حركة كل إنسان، تحصل تحولات وفي بعض الأحيان هذه التحولات تكون تحولات مهمة

---

[٣] (يوسف: ١٠٨)

[٤] (الملك: ٢٢)

هل تحوّل هؤلاء المؤمنين كان من هذا النمط من التحول؟ أم أنه كان تحوّل دين تحوّل الجذور تحوّل العقيدة، مقاييسهم تغيرت، فالتصور الذي يطرح ويُزيّن (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا)[٥]، فهل كان رسول الله (ص) يقول لأصحابه اصبروا قليلا وسوف تصبحون أغنياء وتنفتح لكم أبواب الدنيا!؟ هل هكذا كان؟ هل كان يقول لآل ياسر صبرا سوف نغلبهم بعد سنوات وسوف نقتلهم؟ ويقول لبلال صبرا سوف يأتي اليوم الذي تقتل أمية بن خلف الذي يعذبك الآن؟ هل هكذا كان يقول!؟ أم كان يقول (صبرا آل ياسر، موعدكم الجنة)[٦]، فماذا تغيّر؟

وكذلك ماذا تغير في مصعب ذلك الشاب المترف قبل أن يسلم والذي أصبح كله إيمانا ورؤية وبصيرة، ينقل أن نضر بن حارث بن كلدة كان طبيبا درس في جنديشابور، وكان مثقفا معروفا في قريش، حينما أُسر في غزوة بدر نظر إليه رسول الله (ص) بنظرة معينة –حسب الرواية– بدل أن يعززه ويحترمه ويستفيد من ثقافته وإمكانياته العلمية، فقال إن محمدا نظر إليّ نظرة مخيفة وأظنه يقتلني، فرأى مصعب بن عمير وكان زميله ومترفا مثله، فقال: يا مصعب قل لصاحبك يعاملني مثل الآخرين فيجعل لي مبلغا فداء وأنا مستعد لأي مبلغ، قال مصعب: إنك كنت تؤذي رسول الله (ص)، فقال: إنك صاحبي كنا دائما مع بعض وكنا نحب بعض، أما والله لو كنت أنا مكانك وأسَرتك قريش لبذلت كل شيء في سبيل إنقاذك، قال مصعب: والله إني لأراك صادقا ولكنني لست مثلك، أنا مؤمن[٧]

أمثال مصعب (رض) ماذا تغير في نفوسهم؟ هل هو مجرد تحوّل مصالح –والعياذ بالله– أم (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ)[٨]، القيام بالقسط ماذا يعني؟ يعني الموازنة في النفس هذه التغيرات التحولات حينما تحصل بشكل صحيح فكل شيء يتغير في شخصية الإنسان

القسط ماذا يعني؟ إذا أنت تراجع نفسك تجد أنك تقسّم الأشياء بمقدار أهميتها في نفسك، يوجد في نفسك أشياء متدرجه، أي شيء هو الأكبر أي شيء هو المقياس الأكبر الذي تنصبغ وتتدرج به بقية الأشياء، إذا كان الله تعالى هو الأكبر فكل شيء آخر يقاس بالله، فإذا كان قريبا من الله فهو أكبر، وإذا كان بعيدا من الله عز وجل فهو أصغر، البعد والقرب من الله هو الذي يحدد قيمة الشيء وكبر الشيء في نفس المؤمن

---

(٥) (مريم: ٧٣)

(٦) اختيار معرفة الرجال (١/١٢٧)

(٧) المغازي للواقدي (١/١٠٦)

(٨) (الحديد: ٢٥)

هنا يحصل تغير جذري وكل الروابط تتغير، إذا كان هذا المقياس نابعا من القلب من العقيدة إذن سوف يتغير كل شيء في النفس، الله أكبر وكل شيء آخر أصغر، هنا أنت بحاجة إلى معرفة ما يقربك من الله وأي شيء هو الذي يبعدك من الله، هنا أنت تشعر أنك بحاجة إلى هذه المعرفة وإذا عرفت هذا فيصبح لك نور (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا)[٩]

أنا أحاول أن أتقرب إلى الله في الحديث (وأيم الله لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت)[١٠]

نحن مقبلون على شهر شعبان، وشهر شعبان هو شهر رسول الله (ص) حسب بعض الروايات، فحاولوا أن تجسدوا دين رسول الله (ص) بعد معرفته، ونحن مقبلون كذلك على ميلاد سيد الشهداء الحسين (ع) وكذلك بحاجة إلى معرفته، لا تتوقعوا أنه كل شيء يُصنع لكم حتى الذكرى كذلك تُصنع وبطريقة معينة، تاريخ هذه الأمة هكذا كان بعض أصحاب الأئمة (ع) مثلا حينما يسأل هل تذكر الحسين (ع) قال نعم أذكره وأهل بيتي يرون عليّ ذكراه، نذكره كإمام إن شاء الله، وفقنا الله تعالى لمراضيه والحمد لله رب العالمين

---

(٩) (إبراهيم: ٢٤ – ٢٥)

(١٠) الكافي (٢٨/٥)